

تفسير البحر المحيط

@ 64 @ إنذاره ؛ ويحتمل أن يكون اعتراضاً بين إنذار قومه وأن لا تعبدوا . والمعنى :
وقد أُنذر من تقدمه من الرسل ، ومن تأخر عنه مثل ذلك ، فاذكرهم . .
{ قَالُوا أَجِئْتَنَا } : استفهام تقرير ، وتوبيخ وتعجيز له فيما أنذره إياهم من
العذاب العظيم على ترك أفراد [] بالعبادة . { لَتَنَالُنَّ الْفِكَرَ } : لتصرفنا ، قاله الضحاك
؛ أو لتزيلنا عن آلهتنا بالإفك ، وهو الكذب ، أي عن عبادة آلهتنا ، { فَأَتَتْ بِحَمَلٍ }
تَعِدُنَا : استعجال منهم بحلول ما وعدهم به من العذاب . ألا ترى إلى قوله : بل هو ما
استعجلتم به ؟ { قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ } : أي علم وقت حلوله ، وليس
تعيين وقته إليّ ، وإنما أنا مبلغ ما أرسلني به [] إليكم . ولما تحقق عنده وعد [] ،
وأنه حال بهم وهم في غفلة من ذلك وتكذيب ، قال : { وَلَئِن كُنْتُ أُرَاكُمُ قَوْمًا }
تَجْهَلُونَ : أي عاقبة أمركم لا شعور لكم بها ، وذلك واقع لا محالة . وكانت عاد قد
حبس [] عنها المطر أياماً ، فساق [] إليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد يقال له
المغيث ، فاستبشروا . والضمير في { رَأَوْهُ } الظاهر أنه عائد على ما في قوله :
بِمَا تَعِدُنَا ، وهو العذاب ، وانتصب عارضاً على الحال من المفعول . وقال ابن عطية
، ويحتمل أن يعود على الشيء المرئي الطالع عليهم ، الذي فسره قوله : { عَارِضًا } . .
وقال الزمخشري : { فَلَمَّ رَأَوْهُ } ، في الضمير وجهان : أن يرجع إلى ما تعدنا ،
وأن يكون مبهماً ، قد وضع أمره بقوله : { عَارِضًا } ، إما تمييز وإما حال ، وهذا
الوجه أعرب وأفصح . انتهى . وهذا الذي ذكر أنه أعرب وأفصح ليس جارياً على ما ذكره
النحاة ، لأن المبهم الذي يفسره ويوضحه التمييز لا يكون إلا في باب رب ، نحو : رب رجلاً
لقيته ، وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين ، نحو : نعم رجلاً زيد ، وبئس غلاماً عمرو .
وأما أن الحال يوضح المبهم ويفسره ، فلا نعلم أحداً ذهب إليه ، وقد حضر النحاة المضمّر
الذي يفسره ما بعده ، فلم يذكروا فيه مفعول رأي إذا كان ضميراً ، ولا أن الحال يفسر
الضمير ويوضحه . والعارض : المعارض في الجو من السحاب الممطر ، ومنه قول الشاعر : % ()
يا من رأى عارضاً أُرقت له % .
بين ذراعي وجبهة الأسد .
.
% ()
وقال الأعشى : % () يا من رأى عارضاً قد بث أرمقه % .

كأنها البرق في حافات الشعل .

. %)

{ مَّسْتُقْبِلَ أَوْ دِيَتِهِمْ } : هو جمع واد ، وأفعلة في جمع فاعل . الاسم شاذ نحو : ناد وأندية ، وجائز وأجوزة . والجائز : الخشبة الممتدة في أعلى السقف ، وإضافة مستقبل وممطر إضافة لا تعرف ، فلذلك نعت بهما النكرة . { بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ } : أي قال لهم هو ذلك ، أي بل هو العذاب الذي استعجلتم به ، أضرب عن قولهم : { عَارِضٌ مُّطَرٌّ نَّارًا } ، وأخبر بأن العذاب فاجأهم ، ثم قال : { رِيحٌ } : أي هي ريح بدل من هو . وقرأ : ما استعجلتم ، بضم التاء وكسر الجيم ، وتقدمت قصص في الريح ، فأغنى عن ذكرها هنا . { تُدَمِّرُ } : أي تهلك ، والدمار : الهلاك ، وتقدم ذكره . وقرأ زيد بن عليّ : تدمر ، بفتح التاء وسكون الدال وضم الميم . وقرء كذلك إلا أنه بالياء ورفع كل ، أي يهلك كل شيء ، وكل شيء عام مخصوص ، أي من نفوسهم وأموالهم ، أو من أمرت بتدميره . وإضافة الرب إلى الريح دلالة على أنها وتصريفها مما يشهد بباهر قدرته تعالى ، لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده . وذكر الأمر لكونها مأمورة من جهته تعالى . وقرأ الجمهور : لا ترى بقاء الخطاب ، إلا مساكنهم ، بالنصب ؛ وعبد الله ، ومجاهد ، وزيد بن علي ، وقتادة ، وأبو حيوة ، وطلحة ، وعيسى ، والحسن ، وعمرو بن ميمون : بخلاف عنهما ؛ وعاصم ، وحمزة : لا يرى بالياء من تحت مضمومة إلا مساكنهم بالرفع . وأبو رجاء ، ومالك بن دينار : بخلاف عنهما .